اغتنام الوقت في طلب العلم

إذا عرفنا أنَّا مطالبون أن نتعلم ما ينفعنا، فإن علينا أن نغتنم الأوقات قبل أن تتغير الأحوال. فمثلا الأولاد ذكورا أو إناثا ما داموا في سن الشباب، وقد تفرغوا، وقد كُفُوا المؤونة، ويسر الله لهم الوالدين اللذين يكفونهم حوائجهم ويفرغونهم للتعليم، فعليهم أن ينتهزوا الفرصة وأن يتعلموا. ومجال العلم واسع، سواء ما تعلمه من أفواه المشايخ والعلماء، أو من الحلقات التي تقام في المساجد، أو نحوها، ومن الدروس التي تقام في المراكز الصيفية، أو من الأسئلة والأجوبة، بأن يسألوا ويستفسروا أهل العلم عملا بقوله تعالي: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } . ينتهز الشاب هذه الفرصة قبل أن تتغير حاله؛ فإنه بعد سنوات ربما يحتاج إلى نفسه، عندما ينفرد، ويكلف أن يكسب رزقه ومعيشته بنفسه، يشق عليه بعد ذلك التفرغ والتعلم، ويقع في حرج ومشقة، فمتى يتعلم وقد فات الأوان؟! فما أحسنها من فرصة مهيأة للشاب الذي كفي المؤونة ويسرت له الأسباب. في أزمنتنا هذه بحمد الله الأسباب ميسرة، الأسباب العامة والأسباب الخاصة، ومن الأسباب العامة أن الله -تعالى- أعطى الإنسان العقل والفهم والذكاء والإدراك والسمع والبصر، وامتن عليه بذلك في قوله تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } فامتن عليه بأنه وإن أخرجه جاهلا فقد منَّ عليه بالسمع والبصر والفؤاد: فبالسمع يستمع إلى النصائح والمسائل التي تنفعه، والبصر يقرأ في الكتب وينظر في آيات الله، وبالفؤاد يتعقل ويتفقه ويتفكر فيما حفظه فيكتسب بذلك علما. كما أن سن الشباب هو وقت الذكاء ووقت الحفظ ووقت بقاء المعلومات؛ ولأجل ذلك يقول بعضهم: "إن العلم في الصغر كالنقش في الحجر"، وهذا مثل مطابق؛ وذلك لأن الصغير متفرغ القلب، وعادة الصغير يكون قلبه متفتحا، مقبلا على ما يسمعه، وما قرع سمعه وقر في قلبه وبقي في ذاكرته مدة وبرهة طويلة، فينتفع ببقاء هذه المعلومات. هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن الله -تعالى- يسر لنا في هذه البلاد هذه الدولة التي قد كفتنا المؤونة ويسرت لنا الأسباب التي نتحصل بها على طلب العلم، فمن ذلك ما فتح من المدارس ومن المعاهد، ومن الكليات ومن الجامعات التي تحتوي على علوم نافعة. ولا تخلو جامعة أو كلية أو مدرسة أو معهد من علوم نافعة، وعلوم مكملة، فإذن كل يلتحق بما يلائمه وما يميل إليه، يقرأ ويتعلم مجانا دون أن يؤخذ عليه أجرة تعليم ونحوها، وتبذل له الوسائل كلها، المعلمون يبذلون له العلم دون مقابل، والكتب والمقررات تعطى له وتصرف له أيضا بدون قيمة، وما أشبه ذلك، فهذه أيضا من النعم التي يجب أن تغتنم. ومن الأسباب والوسائل أن هناك كثير من العلماء قد بذلوا الكثير من أوقاتهم في بذل العلم والتعليم، سواء في الليل أو في النهار، فأقاموا حلقات في بيوتهم، أو في المساجد القريبة من بيوتهم، وفتحوا المجال لمن يريد أن يتزود ويتنور. فما بقي على المسلم إلا أن يهتم بهذا الأمر وأن ينفذ همته ونيته، فإذا نفذها رجي أن يحصل بذلك على علم نافع مفيد.